مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١٣: ٧-١٦)

يا إخوةُ اذكُروا مدبّريكم الذين كلَّموكم بكلمةِ الله. تأمَّلوا في عاقبةِ تصرُّفهم واقتدوا بإيمانهم* إنَّ يسوعَ المسيحَ هو هو أمسِ واليومَ وإلى مدى الدهر* لا تنقادوا لتعاليمَ متنوِّعةٍ غريبة. فإنَّه يحسُنُ أن يُثبَّتَ القلبُ بالنعمة لا بالأطعمةِ التي لم ينتفعِ الذين تعاطَوْها* إنَّ لنا مذبحاً لا سلطانَ للذين يخدمونَ المسكِنَ أن يأكلوا منه* لأنَّ الحيواناتِ التي يُدخَلُ بدمِها عن الخطيئةِ إلى الأقداس بيدِ رئيسِ الكهنةِ تُحرَقُ أجسامُها خارجَ المحلَّة* فلذلك يسوعُ أيضاً تألَّمَ خارجَ البابِ ليقدِّس الشعبَ بدمِ نفسه* فلنخرُجْ إذاً إليه إلى خارجِ المحلَّةِ حاملينَ عارَهُ* لأنَّه ليس لنا ههنا مدينةٌ باقيةٌ بل نطلُبُ الآتيةَ* فلنقرِّبْ به إذاً

«الآن تطلق عبدك»

لما دخلت العذراء القديسة ومعها خطيبها العفيف، بالطفل الإلهي إلى الهيكل إتماماً لفرائض الشريعة، التقاهما شخصان هما سمعان الشيخ وحنَّة النبية اللذان لا نعرف عنهما إلا القليل. لكنه قليل كافٍ لنعرف أنهما من فئة «المنتظرين فداء في أورشليم»، بملازمة هيكل الرب وبالصوم والصلاة. في النص الإنجيلي (لو ٢: ٢٢-٣٥) الذي يروي حدث تقدمة السيد طفلاً إلى الهيكل، يستعمل القديس لوقا تعابير طابعها نبوي. «ينتظر (سمعان الشيخ) تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب». وموهبة النبوءة بحسب معلّمي اليهود توقفت بعد الأنبياء القدماء، ولن تعود إلا متى جاء زمان المسيح. الصفة النبوية إذاً، على الشيخ التقي، شهادة بحد ذاتها، للطفل المقدّم الآن إلى الهيكل أنه المسيح المنتظر.

إن أهمية شهادة سمعان الشيخ، عبر الأنشودة التي تلاها حاملاً على ذراعيه الطفل الإله، تكمن في تضمّنها أبعاداً متعدّدة: في سِفر أشعياء النبي أن الرب الإله «شمّر عن ذراع قدسه» (٥٢: ١٠)، وهنا نرى سمعان البار يأخذ على ذراعيه الطفل الذي وُعِد بأنه لا يرى الموت قبل أن يراه، يبارك الرب شاكراً، لا باسمه وحده بل باسم كل المنتظرين الخلاص. هذا الطفل هو نفسه الآتي بالنور، لتستنير به الأمم، كما قال إشعياء «أنا الرب قد دعوتك بالبر فأُمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم» (٤٢: ٦)، وهو أيضاً المجد لأورشليم «قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك» (٦٠: ١). إذاً هذا الطفل هو النور الآتي لاستعلان الأمم الذي به يتمجد شعب الله. ثم يخاطب الشيخُ العذراءَ القديسة بتعابير نبوية أيضاً، جديدة ولكنها تؤكّد على القديم: «ها إن هذا قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل». أي إنه هو المقدِّس، وهو حجر العثرة أيضاً. إن استقام شعب إسرائيل في السلوك والإيمان والعبادة الحسنة قدّسهم، وإن تمسّكوا بالنفاق اصطدموا به صخرة. في سِفر هوشع يقول الرب الإله «طرق الرب مستقيمة

العدد ٥/٢٠١١

الأحد ٣٠ كانون الثاني

تذكار آبائنا الأجلاء في القديسين معلمي المسكونة باسيليوس الكبير وغريغوريوس الثاولوغس ويوحنا الذهبي الفم

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الثالث

ذبيحةَ التسبيحِ كلّ حينٍ وهي ثمرُ شفاهٍ معترفةٍ لاسمه* لا تنسَوا الإحسانَ والمؤاساةَ فإنَّ اللهَ يرتضي مثلَ هذه الذبائح.

الإنجيل

(لوقا ١٩: ١–١٠)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ مجتازٌ في أريحا إذا برجُلٍ اسمُه زكَّا كان رئيساً على العشَّارين وكان غنيًّا* وكان يلتمِسُ أن يرى يسوعَ مَن هو فلم يكن يستطيعُ من الجمع لأنَّهُ كان قصيرَ القامة* فتقدَّمَ مسرعاً وصعِد إلى جمَّيزةٍ ليَنظُرَهُ لأنَّه كان مزمعاً أن يجتازَ بها* فلمَّا انتهى يسوعُ إلى الموضعِ رفعَ طَرْفَهُ فرآه فقال له يا زكَّا أسرِعِ انزِلْ فاليومَ ينبغي لي أن أمكثَ في بيتك* فأسرع ونزلَ وقبِلَه فرِحاً* فلمَّا رأى الجميعُ ذلك تذمَّروا قائلين إنَّه دخلَ ليحُلَّ عند رجلٍ خاطئ* فوقف زكَّا وقال ليسوع هأنذا يا ربُّ أُعطي المساكينَ نِصْفَ أموالي. وإن كنتُ قد غبِنْتُ أحداً في شيءٍ أرُدُّ أربعةَ أضعافٍ* فقال له يسوعُ اليومَ قد حصلَ الخلاصُ لهذا البيتِ لأنَّه هو أيضاً ابنُ إبرهيم*

والأبرار يسلكون فيها. أما المنافقون فيعثرون» (١٤: ٩).

بهذه الأنشودة: «الآن تطلق عبدك أيها السيد على حسب قولك بسلام...» يعلن سمعان، ممثلاً إسرائيل الأمين، فرحه بتسليم الأمانة بعد طول انتظار، وإسرائيل الأمين لمواعد الله عرف أن لا دور له إلا تمهيد السبيل لتحقق الفداء الحاصل بتجسد الكلمة ابن الله. نقول «إسرائيل الأمين» لأن ثمة من غلبت عليهم قساوة أعناقهم فباتوا يفسرون محطات التاريخ الإلهي على ما يشتهون، وكأنهم أرادوا احتكار الله بل وتطويعه تعالى لتاريخ أرادوه هم لأنفسهم. «الآن تطلق عبدك أيها السيد على حسب قولك بسلام» قالها سمعان، لأنه بتقواه نال عند الخالق دالة أن لا يغادر العالم قبل أن يرى بعين الجسد المسيح مولوداً، وبنور الروح القدس خلاص الخليقة بأسرها، عهداً جديداً للبشرية يفتتحه تجسد الإله وقد حان «ملء الزمان». إسرائيل الأمين يختم مهمته بلسان سمعان فرحاً، تماماً كما سيفعل المعمدان فيما بعد خاتماً زمن الأنبياء بقوله: «إذاً فرحي هذا قد كَمَلَ، ينبغي أنَّ ذلك يزيدُ وأنّي أنا أنقصُ» (يوحنا ٣: ٢٩–٣٠).

ابن الله المولود من العذراء إنساناً يأتي من عند الآب نوراً لا لإسرائيل وحده بل للأمم كلها، فالمشرق لا يمكنه أن يحتكر نور الشمس وإن كانت من عنده تطلع. هذا أيقنه إسرائيل الأمين فبات مطمئناً إذ إنه «سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب»، تحقيقاً لقول الرب بنبيه أشعياء (٥٩: ٢٠). قساوة القلب التي أصابت بعض إسرائيل لا يمكنها أن تزول إلا متى أشرق نور الخلاص على الأمم التي لم تؤمن بعد، فينال إسرائيل عندئذ خلاصه الموعود إذ يكون قد أتم ما تأسس من أجله (رو ١١: ٢٥).

إسرائيل الأمين لمواعيد الله مستمر على مدى العصور، في جماعة المؤمنين الذين عبروا بالمعمودية من عبودية البَشَرة الساقطة إلى نعمة الاتحاد بالمسيح والكمال فيه. لذا فالمؤمن الحقيقي لا يطلب مجداً إلا مجد الله، فيعمل بالتالي مساهماً للمسيح في عمله الخلاصي، لأنه متى امتلأ من نور الإنجيل يصبح بذاته نوراً يشرق لكثيرين.

المعمودية في المسيح

يشدِّد تعليم آباء الكنيسة القديسين على أن حدثين مهمين يحصلان في كل خدمة معمودية: موت المؤمن وولادته الجديدة لحياة أبدية. موتنا الحقيقي يحدث عندما نُغطّس في مياه المعمودية على ما يقول الرسول بولس: «أَمْ تجهلونَ أنَّنا كلَّ مَن اعتمدَ ليسوعَ المسيحِ اعتمَدْنا لِموتِهِ، فدُفِنَّا معه بالمعموديَّةِ للموتِ حتى كما أُقيمَ المسيحُ من الأمواتِ بمجدِ الآبِ هكذا نسلُكُ نحن أيضاً في جِدَّةِ الحياةِ» (رو٦: ٣ و٤). في المعمودية نُميت «آدم القديم» الموجود فينا، نُميت الإنسان الخاطئ، «إنساننا العتيق... ليُبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نُستعبَد أيضاً للخطيئة» (رو ٦: ٦)، ونولد من جديد «آدم جديداً» على صورة «آدم الثاني»، «الإنسان الثاني الرب من السماء» (١ كور ١٥: ٤٧) المصلوب والقائم من بين الأموات، ابن الله الوحيد والأزلي (راجع ١ كور ١٥: ٤٥–٤٩).

لأنَّ ابنَ البشرِ إنَّما أتى ليطلُبَ ويُخلّصَ ما قد هلك.

تأمل

إنّ الكلام على الإحسان لا يخصّ الأغنياء فقط بل الفقراء أيضاً، وأولئك الذين بالجهد يؤمّنون خبزهم اليوميّ، لأنّ لا أحد فقير لغاية أنّه لا يملك حتى «فِلْسَي» الأرملة كما في الإنجيل (مر ١٢: ٤٢). يمكن لأيّ إنسان أن يعطي شيئاً من القليل الذي لديه تماماً كالأرملة، وأن يتخطى أولئك الذين يعطون أكثر، من الكثير الذي يملكونه، لأنّ قيمة الإحسان لا تُقاس بالكميّة المقدَّمة، بل بإمكانية الذي يقدّم ونيّته. تالياً، يجب ألاّ نركّز على أنّ الأرملة أعطت فلسَين فقط، بل يجب ان نركّز على أنّها لم تكن تملك سوى هذين الفلسين وقد قدّمتهما، وهكذا فهي قدّمت كلّ ثروتها.

إذاً، لكي نصنع الإحسان لا نحتاج إلى المال، بل نحتاج إلى الإرادة. عندما توجد الإرادة، فإنّ الفقر لا يُعيقنا أبداً، وعندما تغيب الإرادة فلا يفيدنا الغنى في شيء. لذلك سيُحاكم الأغنياء العديمو الرحمة بقسوة أكثر من الفقراء العديمي الرحمة، لأنّه، مع أنّه لديهم أموال طائلة فإنّهم ليسوا رحماء. قد

تعليم الآباء عن ولادة جديدة

يتوافق مع كلام الرب يسوع لنيقوديموس أن عليه ان «يولد من فوق» لكي يرى ملكوت الله (يو ٣: ٣). هذا الكلام شوَّش نيقوديموس وجعله يقول «ألعلَّه يقدِرُ أن يدخُل بطنَ أمه ثانية ويولد» (يو ٣: ٤). عندها يجيبه الرب ان على الإنسان أن يولد من الماء والروح (يو ٣: ٥). الرسول بولس يعبِّر عن الفكرة نفسها في رسالته إلى تيطس (٣: ٤–٥) حيث يتحدَّث عن «غسل الميلاد الثاني». في معمودية الماء يتم غسل خطايانا ودخولنا إلى جسد المسيح الممجد، الكنيسة، وتجديدنا بالروح القدس.

لقد صاغ كثير من الآباء تعليمهم عن المعمودية في شكل دفاع ضد التعاليم الهرطوقية. فالقديس يوحنا الدمشقي دافع عن «معمودية واحدة» مقابل الداعين إلى معمودية ثانية وثالثة، وأعلن كما تقول الرسالة إلى العبرانيين (٦:٦) انه عندما يعتمد الإنسان مرَّة ثانية فهو يصلب لنفسه «ابن الله ثانية». كما شدَّد على انه لا يجوز أن يتم التعميد إلاّ على اسم الثالوث القدوس: «على اسم الآب والإبن والروح القدس». لذلك فإننا نقول ان أيَّة معمودية لا تتم على اسم الثالوث على حسب تعليم الرب في إنجيل متى (٢٨: ١٩)، ليست معمودية حقيقية، وعلى مَن تعمّد معمودية ناقصة أن تُعاد عمادته وتُعتبر هذه معموديته الأولى على اسم الثالوث لكي يصير عضواً كاملاً في جسد المسيح الكنيسة، ويشارك في الشركة الإفخارستية.

يرى الكثير من اللاهوتيين ان العلاقة بين الماء والروح هي الرابط بين الخلق والمعمودية. يقول كاتب سِفر التكوين ان الله خلق كل الأشياء بكلمته. هذا العمل الباهر وجد كماله بالروح الذي كان «يرف على وجه المياه» (١: ٢). في «الخلق الجديد»، في المعمودية، ينزل الموعوظ إلى المياه ليموت ويُدفن مع المسيح. هذا العمل الباهر أيضاً يجد كماله، أو تحقيقه، في الميرون عندما يمسح بـ«ختم موهبة الروح القدس» الذي يجعله «مسيحاً». فكما نزل الروح القدس على المسيح «فاستقر عليه» (يو ١: ٣٢–٣٣) يوم معموديته، هكذا يُمنح الروح القدس نفسه لكل معمود جديد ليستقر عليه ويطهره ويقدسه في مسيرته الروحية نحو الملكوت. هذا هو تجديدنا بالروح القدس.

في المعمودية أيضاً يستقر الرب يسوع فينا، يتحدنا بذاته ونحن نتحد به. «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غلا ٣: ٢٧). الله يرسل ابنه وروحه القدوس ليستقرا في الذين اختاروا الولادة الجديدة بإيمان ومحبة وليقدساهم.

أخيراً، يشدِّد آباء الكنيسة على ان المعمودية تضعنا على الدرب نحو التألّه. تولّد فينا الظروف والأسس التي تساعدنا للوصول في الأخير إلى الاتحاد والشركة مع الله المحبة. طبعاً هذا يحصل للذين يسمحون، بطاعة حرّة، أن يقودهم الروح في مراحل نسكية من التطهير إلى الاستنارة. في المقابل، فإن المعمودية (الولادة الجديدة) تتجلى في الإنسان بقدر ما يقبل الإنسان المعمود المؤمن أن يحيا حياته مع الرب مع مقدار معين من النظام النسكي الذي يركز على التوبة. تجلّي الحياة الجديدة فينا يكون بقبولنا أن نطهِّر ذواتنا من الأهواء فنحفظ وصايا الله ونطبّقها في حياتنا، وإلاّ فإننا لا نسير بهدي

تقول لي: «لكنهم يصنعون الإحسان»، مع ذلك، إذا كان إحسانهم لا يتناسب مع غناهم فلن ينجوا من الجحيم. بقدر ما يكونون أغنياء أكثر، عليهم أن يُقدموا بسخاء لمساعدة الفقراء من دون أن يخافوا من نقصان ثروتهم.

حقاً، بالإحسان لا تنقص ثروتنا بل تزداد أكثر، يُبذل منها ولكنها تزداد بشكل غريب، تُمنح ولكنّها تُستثمر بعائدات كبيرة. على سبيل المثال، أنت تاجر وتهدف إلى بيع بضاعتك؟ لكن هذا لا يمنع أن تفسد أو تسرق، في هذه الحالة لن تربح بل ستحلّ بك خسارة كبيرة أيضاً. أنت فلاح وتأمل بحصادٍ وفير؟ لكنّ رجاءك يمكن أن يخيّبه الجفاف أو البرد أو الجليد، كلّ الخيرات الأرضية معرَّضة في كل لحظة لأن تُفقد، فقط تلك التي تقدَّم للرب هي مضمونة من خطر السرقة، الدمار أو الضياع، وتعطي في الوقت المناسب ربحاً لا يمكن تقديره، «ما لم ترَ عين ولم تسمع أذنٌ ولم يخطر على بال إنسان» (١ كور ٢: ٩). لأنّ الإنسان الذي يأخذ مساعدةً منا يردّ لنا إحساننا، فكم بالحريّ المسيح الذي يُحسن إلينا حتى ولو لم نعطه شيئاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الروح القدس الذي نلناه في المعمودية وندخل في الموت من جديد. لا يمكن للحياة بعد المعمودية أن تكون مثل الحياة قبل المعمودية، وإلا فإننا نكون قد أضعنا طريق التألّه وطريق الملكوت.

الأقمار الثلاثة

تعيّد كنيستنا المقدّسة في الثلاثين من كانون الثاني لآبائنا الأجلاّء في القديسين معلّمي المسكونة باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم، المدعوين «الأقمار الثلاثة».

كلٌّ من القديسين الثلاثة المذكورين يُعيَّد له منفرداً. في الأول من كانون الثاني نعيّد لأبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير الذي كان رئيس أساقفة قيصرية كبادوكية. وُلد عام ٣٢٩ في قيصرية وكان شديد العلم والتقوى. إنتقل إلى عيشة النسك بعدما سبقته إليها والدته إميليا وأخته مكرينا، القديستان، ثم خلف أسقف وطنه بعد وفاته عام ٣٧٠ فرعى كنيسة المسيح ثماني سنوات قبل أن يرقد بالربّ عام ٣٧٩. ازدهرت في عهده الرهبنة الاجتماعية والمستشفيات، كما له مؤلفات عديدة نسكية وعقائدية ووعظية.

أما القديس غريغوريوس الذي نعيّد له في ٢٥ كانون الثاني فكان رئيس أساقفة القسطنطينية. هو أحد آباء الكنيسة ومعلّميها العظام، من قرية أرينزس في كبادوكيا. تعلّم في قيصرية فلسطين ثم في الإسكندرية وأخيراً في اثينا حيث التقى القديس باسيليوس وأصبحا صديقين عزيزَين ونسكا معاً في أديرة البنطس، إلى أن سيم كاهناً ثم أسقفاً على القسطنطينية التي حرّرها من الآريوسية التي كانت منتشرة فيها منذ أربعين سنة. رقد بالرب عام ٣٩١ وقد لُقب باللاهوتي بسبب سمو معاني أقواله اللاهوتية.

والقديس يوحنا الذهبي الفم الذي نعيّد له في ١٣ تشرين الثاني هو رئيس أساقفة القسطنطينية أيضاً. وُلد في أنطاكيا عام ٣٤٤ وتتلمذ على أهمّ فلاسفة عصره ثم ترهب في أحد الأديرة قرب أنطاكيا. سيم كاهناً عام ٣٨٣ ثم رئيس اساقفة عام ٣٩٨. نُفي مرّتين، لكنه، بعد عذاب المنفى في المرّة الثانية، توفي عام ٤٠٧، ولُقّب بالذهبي الفم لفصاحته. فقد كان غزير الإنتاج وقد وصل إلينا من مؤلفاته ١٤٤٧ مقالة و٢٤٩ رسالة.

أمّا تعييدنا للقديسين الثلاثة مجتمعين في ٣٠ كانون الثاني فتحدّد عام ١١٠٠ على عهد الملك ألكسيوس الأول كومنينوس Komnenos وذلك بسبب الخلاف الذي نشأ بين العلماء ونشأة ثلاثة أحزاب، كلٌّ منها يتبع أحد هؤلاء القديسين معتبراً إيّاه الأهمّ.

دخول السيد إلى الهيكل

في الثاني من شباط تُعيِّد كنيستنا المقدسة لتذكار دخول ربنا يسوع المسيح إلى الهيكل. للمناسبة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ١ شباط ٢٠١١ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأربعاء ٢ شباط في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية.